الأخلاق في شعر صدر الإسلام والعوامل المؤثرة فيه

الهادي محمد آدم*

In this article, the researcher has found that, the poetry of prophecy era and caliphates abounds with ethics upon which the good society is constituted poetry un vials about the beauty of its style, the neatness of its moulding and the splendor of its meanings to achieve the aims and values of the good Islamic message which has come to complete the ethics. When Islam came into being, it changed a lot of things in the ignorant society where it changed tribalism to the nation association. It stated security, peace, justice, prosperity, etc. Islam has taken a clear position towards poetry where it has forbidden the ugly poetry which defames the *peoples* honor,causes disputes and stands against Islam. Islam encourages the poetry which seeks about ethics,supports,supports Islam whether with word or sword – so that the society can be constituted on Islam association which calls for establishing Allah's teachings which aim at improving the individual and the groups in doing the good actions in a goodstyle, neat moulding and eloquence that incapacitated the Arabs. That had a greatimpaction poets, As a result, they loved Quran and started to study it. So, their poetry had taken a religious flavor which call for ethics and encourages it. Their poetry cited a lotfrom the Holy Quran and sunnah in breeding up the individual to have good behavior aiming at creating a good society that rejects the deeds and actions of the ignorant era which was calling for society's dismantling and its derastation. To sum up,this is anucleus which cooperates with others for the sake of the over all establishment to consolidate the values and morality.

مدخل:

الأخلاق من الموضوعات التي احتلت مكاناً كبيراً في اهتمام المفكرين والباحثين واستحوذت على تفكيرهم منذ القدم. وجاءت جميع التكاليف السماوية تنادي بالقيم الفاضلة والسلوكيات الحميدة لبناء المجتمع، بهدف تزكية النفس وتحريرها من غرائزها وأهوائها، وحثها على الخلاص من مساوئ الأنانية والحقد، والعمل على زيادة التفاهم والتعاون والابتعاد عن سوء الأخلاق؛ لأنه يتسبب في التخلف الروحي والمادي بين المجتمعات.والرسالة الإسلامية دعت لغرس القيم السلوكية بين الناس في معاملاتهم بعضهم مع بعض، والرسول الكريم ρجاء ليتمم مكارم الأخلاق.

ولما كان الشعر ديوان الأمم وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها على مر التاريخ فقد جاء شعر صدر الإسلام لترسيخ قيم الرسالة الإسلامية من أخلاق فاضلة بين الناس والدفاع عن الدعوة.

* باحث في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية – إسلام آباد

حياة العرب قبل الإسلام :

كانت القبائل العربية قبل الإسلام تعيش في شبه الجزيرة العربية, وهى أرض صحراوية وذات طبيعة جبلية, مما جعل حياتهم في تلك الفترة حياة عربية خالصة لم تختلط بهم المجتمعات الأخرى نتيجة للبيئة القاسية التي يعيشون فيها. وكان ذلك له دور كبير في حماية اللغة العربية من الاختلاط باللغات الأخرى, مما جعلها سليمة من اللحن والتداخل, وأيضاً حافظوا على النسب العربي من التمازج والاختلاط بالشعوب الأخرى. (وكانت القبيلة هي التي تشكل المجتمع في تلك الفترة, والعصبية القبلية هي التي تحمى القبيلة من اعتداء الآخرين, ولا يمكن أن يعيش في البادية شخص أو أشخاص دون أن يكونوا أفراداً في قبيلة يحمونها وتحميهم)[1].

لذلك كانت الحروب بين القبائل تدور لفترات طويلة نسبه لأن لغة السلاح هي اللغة السائدة في تلك الفترة ويعد الأخذ بالثأر من اقرب وجوه العدالة عندهم وكانوا لا يقبلون الدية في قتيل , ويعيرون من قبلها. ولعل ذلك واضح في قول المهلهل في مقتل أخيه كليب تدرك مدى الإصرار على الأخذ بالثأر قال:

ولستُ بخالعٍ درعِي وسيفِي إلى أن يخلعَ الليلَ النهارُ
وإلاَّ إنْ تُبيدَ سَراةُ بكرٍ فلا يَبقى لها أبداً أثارُ [2]

قال الشاعر: بأنه لن يضع سيفه أبداً ويترك الحرب إلا أن يأخذ ثأر أخيه ويقضي على أسياد بكر ما دام على قيد الحياة أو ينتهي من قبيلة بكر التي قتلت أخاه, هذا إصرار واضح على الأخذ بالثأر. وكان من أكبر اهتماماتهم العناية بالخيل لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياتهم حيث تعد عندهم هي مصدر العزة والمنعة ومكسبهم في الغزوات والحروبوالصيد. ويكون الصيد مكسب الفقراء والضعفاء.

كما نجد الشعر عند العرب من أجمل الفنون التي يحتفون بها ويمجدونها. وله أسواق خاصة به مثل سوق عكاظ,والمجنة، وذو المجاز وغيرها. ويعد الشعر أعلى منزله عند العرب, وبه يحكم على القبيلة, وهو الذي يرفع من شأنها ويمجدها ويصنع تاريخها ويحمى عرضه. ويصور لنا حياة العرب وعاداتهم وأخلاقهم بصورة واضحة. قال عنه محمد عثمان علي:"كان الشعراء إزاء هذه المكانة يدافعون عن القبيلة، ويعددون مآثرها ويرثون صرعى حروبها وقد يقومون بنصحها وإرشادها حرصاً على مكانتها وعزها بين القبائل الأخرى"[3].

إذن يعد الشعر هو ديوان العرب في تلك الفترة وسجل تاريخهم وحياتهم, حيث يدافع عن القبيلة ويسجل بطولاتها وأمجادها ويهدي سادتها إلى

الطريق الصحيح في الحرب والسلم ويرفع مكانتها بين القبائل. حيث يعد فن من الفنون الرائعة التي ظلت تصور لنا حياتهم في تلك الفترة.
بينما كانت حياة العرب الدينية في تلك الفترة كان الغالب عليها عبادة الأصنام والأوثان مثل اللات والعزة ومناه وغيرها . وكانوا يستقسمون بهذه الأصنام قال أوس بن حجر:

وباللات والعزة ومن دانَ دينها وباللهِ إنّ اللهَ منهن اكبرُ [4]

اقسم باللات والعزة ومن أعتنق هذه الأصنام كما يقسم بالله,هذا يبين الديانات التي كانت سائدة في تلك الفترة.وعلى الرغم من وجود اليهودية والمسيحية في بقية أجزاء الجزيرة العربية لكن كانت هنالك دلالات وإشارات دينية تدل على التوحيد, وبعض المعاني الدينية الصحيحة.
ولماكان الشعر بهذه المنزلة عند العرب في الجاهلية؛مؤثراً في الناحية الأخلاقية، فهل احتفظ بهذه المنزلة في فترة صدر الإسلام؟ زما هي العوامل المؤثرة في ذلك؟
حدود البحث: فترة صدر الإسلام وتشمل فترة الرسولصلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم.
وأناقش – إن شاء الله – هذا البحث في مبحثين وخاتمة:
المبحث الأول: التربية الأخلاقية في شعر صدر الإسلام.
المبحث الثاني:العوامل المؤثرة على شعر الأخلاق في صدر الإسلام

المبحث الأول
التربية الأخلاقيةفي شعر صدر الإسلام.
المطلب الأول: تعريف الأخلاق والتربية الأخلاقية
أولاً: تعريف الأخلاق:
الأخلاق لغةً: الأخلاق مفردها خُلق بضم الخاء وهو "السجية والطبع والمروءة والدين"[5].
"والخُلُق بسكون اللام وضمها هو السجيَّة، وفلان يتخلق بغير خلقة أي يتكلفه"[6].
والخليقة الطبيعة والجمع خلائق. قال لبيد بن ربيعه:

فَاقْنَعْ بما قَسَمَ المليكُ فَإنَّما قَسَمَ الخَلائِقَ بيننا عَلاَّمُهَا[7]

وجاء الخلق بضم اللام وسكونها هو: "الدينُ والطبعُ والسَّجِيَّةُ "[8].
من هذه الآراء يتضح لنا بأن الأخلاق هي السجايا والطبائع التي فطر عليها الإنسان.
والخلق في اللغة يطلق على السجية والطبع والعادة والمروءة والدين.

اصطلاحاً: الخلق هو: "ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس بسهولة ويسر، من غير تقدم فكر ورويَّة وتكلف "[9].

من هذا التعريف يتضح بان الخلق اصطلاحاً هو ما يصدر عن النفس من أفعال بسهولة ومن غير تكلف ويخرج منها الراسخ من الصفات مثل غضب الحليم، وأيضاً يخرج منها ما يأتي بتكلف مثل البخيل إذا حاول الكرم في بذل المال.

إذن الخلق هو صفة للجانب النفسي للإنسان، وهذه الصفة راسخة في النفس ويكون صدور الأفعال منها تلقائياً من غير تكلف، فهو طبيعي ومنه أيضاً ما هو مكتسب بالمران وما هو بالفطرة والسجية .

وقال الجاحظ: "إن الخلق هو حال النفس بها يفعل الإنسان أفعاله بلا رويَّة ولا اختيار. والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً, وفى بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء يوجد في كثير من الناس من غير ولا تعمل. وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق "[10].

وعلماء الأخلاق عرفوا الخلق: "بأنه العادة التي تغلب عن نفس وتصدر عنها الأفعال، وقد يكون التغلب إلى الفضيلة أو الرذيلة. فالكرم خلق، والبخل خلق, وكلاهما خلق يغلب على النفس. فإذا كان الفعل الذي يصدر عن النفس مقبولاً عند الفرد والمجتمع يكون خلقاً حسناً وإذا كان الفعل الذي يصدر عن النفس مرفوضاً عند الفرد والمجتمع يكون الخلق سيئاً"[11]

ويرى بعض العلماء بأن الأخلاق هي: "وجود قوة إرادية قادرة على توجيه سلوك الإنسان نحو القيم الأخلاقية"[12].

مما سبق من آراء بعض العلماء يتضح بأن الأخلاق هي العادة التي تغلب على النفس وتوجه السلوك الإنساني إلى الأفعال المحمودة أو الرذيلة التي تصدر منها. وقد تكون هذه راسخة في النفس أو مكتسبة بالمران والرياضة وتصبح بعد ذلك راسخة في النفس .

ثانياً: التربية الأخلاقية:

التربية الأخلاقية مهمتها تنشئة الأجيال على السلوكيات الخيرة والآداب الاجتماعية النبيلة وبناء قوة الإرادة وبناء الروح الخيرة القوية الدافعة إلى الخير، ثم تكوين قناعة عقلية علمية بتلك القيم عن علم وبصيرة والتضحية من اجل ذلك. والطريق إلى الأخلاق الفاضلة هو التخلق إلى حمل النفس البشرية عن الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب. والنفس البشرية تميل إلى الخير أو الشر بمقتضى الظروف فيظهر ميل الإنسان إلى الخير حيث يوجد موجب الخير الدافع له لعمل الخير. ويظهر ميله

إلى الشر حيث يوجد موجب الشر الدافع له. بل قد تقوى الموجبات حتى ترد الرشيد غويًّاً أو تردَ الغوي رشيداً.

فمن أراد مثلاً أن يخلق لنفسه خلق الجود فعليه أن يتكلف فعل الجود وهو بذل المال حتى يصير ذلك طبعاً له. وكذلك من وسائل تربية الخلق الفاضلة صحبة الأخيار وهذه لها أثرها البالغ في حياة الإنسان وتلعب دوراً مهماً في تربية الخلق لأن الإنسان مولع بالمحاكاة والتقليد - إن القرين بالمقارن ينسب - فنجد صحبة الأخيار واضحة في ذلك، فمعاشرة الكرماء تلقى في نفوس البخلاء الكرم، وصحبة الأبطال تلقى في نفوس الجبناء الشجاعة ... وهكذا[13].

لذلك تكمن أهمية التربية الأخلاقية في بناء الأفراد والمجتمعات والأمم والحضارات الإنسانية بروح الخير ليتحقق التماسك والتجانس الاجتماعي لتحقيق النهضة الاجتماعية القوية والقضاء على مشكلة ازدياد الجرائم والانحرافات بجميع أشكالها وألوانها, وبناء جيل ملتزم بالخير وتسوده روح العدل والمحبة والإخاء. لأن جميع الحضارات والديانات السماوية قامت على ترسيخ القيم الأخلاقية ونشر الفضيلة بين أفراد المجتمع. "فما من حضارة أو ديانة سماوية ترى العدل قبحاً والظلم حسناً والصدق رذيلة والكذب فضيلة وإنما تختلف بعد ذلك في غير المبادئ الأساسية"[14].

جاءت جميع الحضارات والديانات السماوية تحث على الأخلاق الفاضلة ونشرها بين المجتمعات الإنسانية حتى تصبح مجتمعات متماسكة فيما بينها, وتقوى بين أفرادها القيم والأخلاق الفاضلة.

المطلب الثاني: موقف الرسول ρ وخلفائه الراشدين رضوان الله عنهم من الشعر

كان الشعر في الجاهلية سمة العرب التي عرفوا بها. وهو سجل حياتهم وتعاملاتهم. وكانت الأغراض التي يتناولها هي الغزل في المحبوبة وذكر الديار, ومدح أمجاد القبيلة وبطولاتها, ووصف الطبيعة البدوية التي يعيشون فيها, وهجاء الأعداء والتعريض بهم, وغير ذلك من الأغراض التي كانت سائدة. فكان الشعر له مكانه عظيمة ومنزلة رفيعة في نفوس العرب وهو من أجمل الفنون الشعرية و أروعها.

وعندما جاء الإسلام غير حياة العرب في جميع ضروبها حيث جعل العمل للدنيا والأخيرة معاً, وجاء بإبطال كثير من أمور الجاهلية أولها العصبية القبلية التي كانت تسيطر على حياتهم, ووضع قيوداً بأن لا يجوز تجاوزها. وجاء القرآنبلاغة وفصاحة وإعجازه الذي تضاءل إمامه

شعراء وفصحاء العرب ومنهم من انقطع عن قول الشعر لأنه لا يرقى إلى مكانة القرآن. مثل لبيد فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً قال:

الحَمْدُ للهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجَلِي حَتَّى إِكْتَسَيْتُ مِنَ الإِسْلاَمِ سِرْبَالاَ[15]

بحمد الله تبارك وتعالى بان أمد في عمره إلى أن أدرك الإسلام ولبس منه لباس التقوى والإيمان الذي يحميه من الجاهلية وشرها. فاتخذ الإسلام من الشعر مواقف مختلفة على حسب طبيعة الشعر ومراحل الدعوة حيث وردت في القرآنالكريم سورة باسم (الشعراء)، كما وردت بعض الآيات تعالج قضية الشعر والشعراء. ونفى صفة الشعرية عن الرسولρ وما وصفه به المشركون قال تعالى :"بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ"[16]. وصف المشركون القرآنبأنه أحلام رآها الرسول في نومه أو افتراء منه أو قول شعر كما قال الشعراء الأولون. وقال تعالى:"وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكَوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ"[17]. ثم يقولون بأنهم ليس منصرفون عن آلهتهم التي وجدوا عليها آبائهم إلى شاعر مجنون حيث يصفون الرسول الكريمρ بأنه شاعر. وقال تعالى:"أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ"[18]. ويقولون هذا شاعر نصيبه بالعذاب وصروف الدهر المهلكة. ولكن الله تبارك وتعالى نفى صفة الشاعر عن النبيρ في قوله تعالى :"وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ"[19]. كما جاء في القرآنلفظ الشعر في قوله تعالى:"وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ"[20] ينفي الله صفة الشعر عن القرآنالكريم والرسولρ ليس بشاعر كما يزعمون المشركين. وعن الشعراء قال تعالى:"وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ"[21]. يقصد بهم شعراء المشركين الذين تناولوا الرسول الكريم ρ بالهجاء ومسوه بالأذى ويخوض معهم في قول الشعر الخائضون, حيث استثناء غيرهم من شعراء المؤمنين الذين نصروا الدعوة الإسلامية ودافعوا عنها. في قوله تعالى :"إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"[22]. نجد الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ثم ردوا على المشركين الهجاء الباطل بالهجاء الحق, هم الذين اقرَّ الدين الإسلامي شعرهم. والذين ظلموا لهم العذاب الأليم الذي ينالونه يوم القيامة.

وبناءً على هذا يمكن القول بان موقف القرآنالكريم من الشعر ينبع من موقف الشعراء أنفسهم الذين ينقسمون إلى فئة ضالة بعيده عن الحق وقفوا بشعرهم ضد الإسلام والرسول الكريم ρ وصحابته ووصفوا الرسول

الكريم ρ بأنه شاعر. فالقرآنالكريم ذم هذه الفئة ونهى عن شعرهم .وهنالك فئة أخرى صالحة مؤمنة واكبوا الإسلام منذ أحداثه الأولى فتأثروا بقضاياه وقيمته ،ودافعوا عنه ،وقاموا بنشر تعاليمه ورسالته. فنجدالقرآنقام باستثناء هؤلاء الشعراء عن شعراء المشركين وشجعهم بشكل أو بآخر على نظم الشعر في أداء الرسالة. أما الرسول عليه صلوات الله وسلامه عليه فله مواقف تنسجم مع مواقف القرآنالكريم ، فقد ذم الشعر في أول الأمر ونهى عن روايته فقال: "لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير من أن يمتلئ شعراً"[23]. نهى الرسولρ في هذا الحديث عن قول الشعر ويفضل أن يمتلئ جوف الإنسان قيحاً خيراً له من قول الشعر, نلاحظ أن النبي المصطفى ρ ينهى عن الشعر وروايته في بادي الأمر ولكنه مع ذلك شجع شعراء المسلمين واستنهض هممهم على قول الشعر فقالρ :طلا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين"[24]. والرسولρ يرى بان الشعر ملازم لحياة العرب ولا يمكن تركه لأنه ديوانها وتاريخها وهو ملكة فنية تنقسم إلي نوعين طيب وخبيث حيث قال :"إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[25]. حيث كان يوجه الشعراء إلي أن يتمثلوا في شعرهم المفاهيم الإسلامية والقيم الأخلاقية الساميةفي الدفاع عن الدعوة والرد على المشركين.قال ρلحسان بن ثابت: "اهجهم _ يعنى قريش _ فو الله هجاؤك عليهم اشد من وقع السهام، في غلس الظلام، اهجهم ومعك جبريل روح القدس ، وألقَ أبابكر يعلمك تلك الهنات "[26].

والرسولρ يحث حسان بن ثابت على قول الشعر في هجاء المشركين ويبشره بان جبريل عليه السلام يقف معه في معركته هذه ويجب عليه أن يلتقي بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليعلمه انساب العرب وتواريخ قبائلهم، حتى تساعده في معلوماته وعباراته التي تأتي في شعره. كما نجد أن الرسول ρ كان يعجب بالشعر ويصفه عندما يسمع بعض روائعه بقوله: "أن من البيان لسحراً ، وان من الشعر لحكمة "[27]. حيث يوضح بان من البيان ما هو يسحر النفس ويسرها ومن الشعر الحكم والمواعظ التي يجب أن يتعلمها الإنسان ويستفيد منها قال النابغة الجعدي:

بَلَغْنَا السَمَاءَ مَجْدَنا وَجُدوْدُنَا وإنّا لَنَبْقَى فَوَقَ ذَلِكَ مَظْهَرا[28]

فغضب الرسولρ عندما سمع ذلك وقال له: "أين المظهر يا أبا ليلى ؟" فقال النابغة :"الجنة بك يا رسول الله" فقال له الرسولρ :"أجل إنشاء الله "[29] وكذلك كان يشجع الناس لاستماع الشعر الذي يوجد فيه نفس إسلامي

وروح دينية. فقد انشده كعب بن زهير قصيدته المشهورة "بانت سعاد" في المسجد فلما بلغ قوله:

إنّ الرّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِـــهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُــوْلٌ
فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُـــهُم بِبَطْنِ مَكّةَ لَمَا أَسْلَمُوا زُوْلُــوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وكُشُــفٌ عِنْدَ اللّقاءِ وَلا مِيْلٌ مَعَاذيــلُ
شُمُّ العَرانيين أَبْطَال لبُوْسُهُــمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُودَ فِي الهيَجَا سَرَابِيلُ
بيضٌ سَوابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَــقٌ كَأَنَّهُ حَلَقُ القَفْعاءِ مَجْــدُولُ
لاَ يَفْرَحُونَ إذَا نَالَتْ رِمَاحُهُــمُ قَوْمَاً وَلَيْسُوا مَجَازِيْعاً إذا نِيْلُــوا
يَمشُونَ مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إذَا عَرَّدَ السُودُ التَنابِيــلُ
لاَ يَقَعُ الطَّعْنُ إلاّ فِي نُحُورِهِــمْ وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاض الموْتِ تَهْلِيــلُ[30]

عندما سمع الرسولρ هذه القصيدة أعجب بها وأهداه بردته؛ لما في ذلك الشعر من مدح للرسولρ والمهاجرين بقيم إسلامية وأخلاق فاضلة فاثر في نفس الرسولρ على الرغم من التعريض للأنصار في البيت قبل الأخير.

ولم يكن الرسولρ يقيم وزن بيت يرويه أو يتمثل به، كما فعل ببيت طرفة بن العبد فإنه رواه خلاف أصله حيث رواه هكذا:

سَيُبدِي لَكَ الأيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيَك مَنْ لم تُزَودَّ بالأخَبارِ

واصلة: وَيَأتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لم تُزَودَّ[31]

وأكثر ما كان يتمثل بأنصاف الأبيات حتى لا يتحقق كونها شعراً كما فعل ببيت لبيد حين قال: "اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :ألا كل شيء ما خل الله باطل"[32] فأتى بالشطر صحيحاً ولكنه سكت عن عجز البيت.

والرسولρ كان يرتجزُ قول عبد الله بن رواحه:

لا هُمّ لولا أنتَ ما اهتديْنــا ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينــا
فأَنزْلنْ سكينةً علينـــا وثَبِّت الأقدامَ إنْ لاقَيْنــا
إنّ الأُلَى قد بَغوا علينــا إذ أرادوا فتنــة أبينـــا[33]

لذلك لا يمكن القول بأن النبيρ قد نهى عن قول الشعر عموماً، ولا يمكن القول أيضا أنه شجع الشعر دون توجيه أو تهذيبه. فنجد أنه سمع قول الشعر في المسجد وكافأ عليه قائلة عند كعب بن زهير وعفا عنه. كما نجده أعجب بالشعر ووصفه بأنه جيد المعنى أي اصدق كلمة قالها شاعر عند لبيد وقال أنه كما كان يرتجز قول عبد الله بن رواحه.

كل ذلك يدل على أن الرسولρ لم ينه عن الشعر تماماً وإنما كان يشجع الشعر الذي يدل على الأخلاق الفاضلة ويدافع عن الدعوة الإسلامية وينصرها بالكلمة كما ينصرها بالسيف. ونهى عن الشعر الذي يخرج عن هذه المبادئ السامية ويكون ضد المسلمين والإسلام. وسلك من بعده الخلفاء الراشدين هذا المسلك في موقفهم من الشعر حيث حثوا على الشعر الذي يخدم الإسلام ويوافق مبادئ وأخلاقيات الرسالة الإسلامية.

و سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه لم ينهى عن قول الشعر بل أقر ذلك وقبله في بعض المواضع عندما كتب إليه بعض الشعراء في زمن الردة يناصرونه ويدافعون عنه. قال أبو عبرة القرشي:

شُكراً لِمَنْ هُوَ بالثناءِ حَقِيْـقُ ذهب اللَجَاجُ وبُويَع الصديـقُ
مِنْ بَعْد مَا دَحَضَتْ بِسَعْدٍ نَعْلُـه ورجا رجاءٌ دُونَه العَّيــوقُ
كُنَا نَقُوْلُ لَهَا عَلَّى والرضــى عمرُ وأولاهم بتلك عتيــق
فَدَعَتْ قريشٌ باسمه فأجابــها إنَّ المنوه باسمه الموثــوق[34]

يؤيد الشاعر خلافة سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويشكر الله بأن دعا أمة الإسلام إلى الحق وذهاب الباطل. وينسب إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث أرقت ،أوامر في العشيرة حادث
ترى من لؤي فرقة لا يَصُدَّهــا عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسولٌ أتاهم صادق فتكذبــوا عليه وقالوا: لست فينا بماكــث[35]

وقد اشتهر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بأنه كان كثيراً ما يسأل وفود القبائل عن شعرائهم. وكان من أكثر الناس معرفةً بالشعر ونقده. حيث كتب إلي أبي موسى الأشعري واليه على البصرة قائلاً:"مُرْ من قِبَلِكَ بتعليم الشعر فانه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب"[36].

وقد مضى الخلفاء الراشدين مهتدين بهدى الإسلام الحنيف ينهون عن الهيجاء ويعاقبون عليه. كما في قصة سيدنا عمر بن الخطابτ، مع الحطيئة حيث حبسه حين أقذع في هجائه للزبرقان فاستعطف الحطيئة سيدنا عمر بأبيات قال فيها:

مَاذَا تقول لأَفْراخٍ بذي مَـرَخٍ زُغْبِ الحَواصِل لا ماءٌ ولا شَجَرُ
غَيَّبْتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغْفِرْ عَلَيْكَ سلامُ الله يا عُمَـرُ[37]

عندما سمع سيدنا عمر بن الخطاب τ، هذه الأبيات عطف عليه وأمر بإطلاق صراحه بعد أن عاهده على ألا يعود إلى مثل هذا الهجاء.

كما نسب إلى سيدنا عثمان بن عفانτبعض الأبيات قال:

غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها وان عَضَّها حتى يضرّ بها الفقرُ
وما عُسَرَه - فاصبر لها إن لقيتها- بكائنة إلا سيتبعُها يُسْرُ [38]

وقال سيدنا على بن أبى طالب τ، يصف الشعر بقوله :"الشعر ميزان القول"[39].

وموقف الرسولρ وخلفائه الراشدين من الشعر يتسق مع بعضه البعض، فلم ينه عن قول الشعر عامة، بل نهى عن قول شعر معين. مثل شعر الهجاء المقذع، ومهاجمة الإسلام والمسلمين، وفى الجانب الآخر الرسولρ كان يستحسن بعض الشعر الذي يحمل القيم والأخلاق الإسلامية ويرتجز بعضه ويثيب عليه ويشجع شعراء المسلمين الذين يحمل شعرهم عبء الاتصال المباشر بالقيم الإسلامية الجديدة،وما تحمله من مظاهر التغيير في السلوك والأخلاق والقيم الاجتماعية والروحية بحيث وقعة على المشركين أشد من وقع السهام في غلس الظلام.

وسار الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، من بعده على نفس النهج في رؤيتهم للشعر حيث قبلوا ما هو متسق مع الرسالة الإسلامية ومبادئها السامية وأخلاقها الفاضلة وشجعوا الشعراء في هذا الطريق من أجل نشر القيم الروحية والدفاع عن الدعوة والرد على المشركين والكفار. ورفضوا ما هو قبيح من الألفاظ والمعاني وينادى بالفحشاء ويهاجم الإسلام.

المبحث الثاني

العوامل المؤثرة في شعر صدر الإسلام

المطلب الأول: التأثير الاجتماعي في شعر الأخلاق:

المتتبع للحياة الإنسانية بين المجتمعات يجد أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الفاضلة. وحتى المجتمعات التي تقوم على أساس تبادل المنافع المادية فقط من غير أن يكون وراء ذلك هدف أسمى وأنبل فإنه لابد من توفر خلقي الثقة والأمانة على أقل تقدير في هذا المجتمع. فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات. ومتي ما فقدت الأخلاق تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا فيما بينهم وإنهار المجتمع كله.

"ولقد دلت التجارب الإنسانية, والأحداث التاريخية أن تطور القوى المعنوية للشعوب ملازم لتطورها وارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة. ذلك لان الأخلاق الفاضلة في أفراد المجتمع تمثل الأسس الثابتة التي تقوم عليها الروابط الاجتماعية, ومتي ما انعدمت أو قلت بين الأفراد لم تجد الروابط الاجتماعية مكاناً تقوم عليه"[40].

عندما انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية غير كثيراً من المبادئ والقيم والمفاهيم التي كانت سائدة في مجتمع ما قبل الإسلام. حتى وجد الشاعر المخضرم الذي عاش في الجاهلية والإسلام أمام أصعب معادلة أدبية يعيشها شاعر في الوجود. ذلك لأن التغيير الكبير الذي جاء به الإسلام في حياة الأمة العربية آنذاك كان له تأثير واضح في المواقف الأدبية التي عاشها الشعراء المخضرمون. بل كان له تأثير أيضا في مسار الشاعر من خلال هذه المواقف نفسها. تبعا للتعبئة التي شكلت حياته الأدبية.

ووفقاً لمجتمعه القبلي الذي سخر له جهده الأدبي وطاقته الفنية. وهو مجتمع يقوم على مبادئ وقيم وتقاليد جاهلية, اعتمدت على العصبية القبلية ومصالح الفرد التي رسخت في عقلية الشاعر ووجدانه, وانعكس عليها أدبه وفنه فإذا به يراها تذوب بين يديه وتتلاشي أمام ناظريه. ليحل الإسلام محلها بأخلاق وقيم ومبادئ جديدة أرادها الله لخلقه وسجلها القرآنالكريم بكلمة تقوم على إصلاح المجتمع ومصالح الجماعة.

وكان من التأثير الاجتماعي على شعر الأخلاق في فترة الجاهلية الفخر بالقبيلة التي شكلت حياتهم الأدبية في سلوكهم وتوجيههم الأخلاقي قال النابغة الجعدي عن موسي الأشعري يوضح لنا الجانب القبلي في أخلاقه القائمة على العصبية القبلية والحمية الجاهلية. قال:

رَأيتُ البَكْرَ بَكْرَ بني ثَمُــودٍ وأنتَ أراكَ بَكْرَ الأشْعَرِينَـــا
فإنْ يَكُنِ ابنُ عَفَّانٍ أمينَـــاً فلم يَبْعثْ بِكَ البَرَّ الأمِينَـــا
فيا خَيْرَ النَّبِيَّ وصاحِبَيْــه إلا ياغَوْثَنا لو تسمَعُونَـــا
إلا صَلَّى إلهُكُمُ عَليكُـــمْ ولا صَلَّى على الأُمَراءِ فِينـا[41]

فنجد تأثير النابغة الجعدي بالحياة الاجتماعية التي كانت في الجاهلية حيث يفتخر بقبيلته ويصف سيدنا عثمان بن عفان τبالأمين ويرفض ولاية أبي موسي الأشعري عليهم. ونجد كذلك حسان بن ثابت يفتخر بقومه ويعدد أسماء القتلى ويذكر خطاب الرسولρ لأهل القليب ، فقال :

وخبر بالذي لا عيب فيــه بصدق غير إخبار الكــذوب
فلاقيناهم منا بجمـــع كأسد الغاب من مردٍ وشيــب
أمــام محمد قــد آزروه على الأعداء في وهج الحـروب
يُناديهم رَسولُ الله لمَّـــا قَذَفْنَاهُم كَبَاكِبَ في القَلِيْــب
أَلم تَجدُوا حَديثي كَان حَقَّــاً وامرُ الله يَأْخُذ بالقُلُـــوبِ
فما نَطَقُوا ولو نَطَقُوا لَقَالُـوا صَدَقْتَ وكُنْتَ ذا رَأيٍ مُصِـيْبِ[42]

فحسان بن ثابت في أبياته السابقة متأثر بالحياة الاجتماعية في الجاهلية بالفخر بالقبيلة. وقال إذا نطقوا لقالوا صدقت. أي أنك صادق وذا رأي سديد.

ومتأثرا بالقرآنالكريم ويستقي معانيه من قوله تعالى:"قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُوْلُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُوْلُهُ"[43]. وقوله تعالى:"لِيَجزِيَ اللهُ الصّادِقِينَ بِصِدقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ"[44]. حيث يجزي الله الصادقين مكانة عالية في الجنة جزاءْ لما صدقوا في الدنيا ويعذب المنافقين في نار جهنم. والإسلام أخذ يضعف من شأن العصبية القبيلة ويحل محلها فكرة الأمة قال الله تعالى:"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمْةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"[45].

حيث يصف المولي عز وجل الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس تآمر بالمعروف وتنهى عن المنكر, وأخذ الإسلام يرسى القواعد الاجتماعية لهذه الأمة بحيث تكون أمة مثالية يتعاون أفرادها على الخير ويسود بينهم البر والتعاطف وينبغي أن يعودوا إخوة, ويشعر كل واحد منهم بمشاعر أخيه, باذلاً له ولمصلحة هذه الآمة كل ما يستطيع. قال الحطيئة:

أَلَمْ أَكُ نائياً فَدَعَوْتُمُونِـــي فجاء بِيَ المَوَاعِدُ والدُّعَـــاءُ
أَلَمْ أَكُ مُسْلِماً فيكونَ بيـنِي وبينكمُ المَوَّدةُ والإِخَـــاءُ[46]

حيث وضح الحطيئة بأنه كان بعيدا عن الجماعة وجاء به الأمل والرجاء ويكون بين المسلمين, فتكون بينه وبينهم المودة والإخاء. للتعاليم الإسلامية التي تنظم حياة الناس الاجتماعية في معاملتهم بينهم. ونظم الحياة داخل الأسرة وحفظ حقوق الجار في أخلاق عالية قال النابغة الجعدي :

وبيضاءَ مثلِ الريمِ لو شئتُ قد صَبَتْ إليَّ وفيها للمحاضر ملعــبُ
تجنّبتها ، إني أمرؤ في شبيبتــي وتلعابتي عن ريبةِ الجارِ أَنكَبُ[47]

فنجد النابغة رسم لنا أخلاقاً إسلاميةً في حياته الاجتماعية حيث يحفظ حقوق الجار ويرفض أن ينصاع في حب جارته وهي جميلة بيضاء تصبي لحبه لكنه يرفض ذلك. وكذلك كان التأثير الاجتماعي على شعر الأخلاق في تلك الفترة حيث غير كثير من المفاهيم الأخلاقية التي كانت سائدة في المجتمع و أولاد جعفر بن فريع بن كعب الذين عرفوا بـ (بني أنف الناقة) حيث كانوا يتضاءلون خزياً من هذا اللقب ويعيرون به حتى إذا مدحهم الحطيئة بقوله:

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ وَمَنْ يُسَوِّي بأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَـــا"2"

فصار اسمهم شرفا لهم, وصاروا يتطاولون ويزهون به على الناس بعد إن كان سبب استحياء وانكساف منه. والنابغة الجعدي يرسم لنا منهجا خلقيا رفيعا في معاملته لأصدقائه قائلا:

وكان الخليل إذا رابنـــي فعاقبته ثم لم يَعْتِـــبِ
هوايَ لهُ, وهوي قلبــه سوايَ, و ما ذاك بالأصوبِ
أروم على العهدِ مادام لـي فان خانَ خُنْتُ وَلَمْ أكـذبِ[48]

فتأثر النابغة بالحياة الاجتماعية التي من حوله يلتزم فيها بالأخلاق الفاضلة بعيدا عن الغدر والخيانة وحرصه على أن تسود علاقته مع أصدقائه بالمودة والمحبة والصدق والمروءة, وهو يأسي اشد الآسي, ويتأسف غاية الأسف لسوء معاملتهم له على الرغم مما يخصهم به من حسن المعاملة وطيب المودة والعشرة. والوضوح له في معاملته معهم. وهذه الأخلاق التي تسود تلك المجتمعات يوصي الآباء بها الأبناء لالتزامها حتى ينمو المجتمع وتسوده روح المحبة فنجد سيدنا على بن أبي طالب يوصى ابنه الحسن رضي الله عنهما قائلا:

تردَّ رداءً الصبرِ عند النوائـب تنل من جميل الصبر حُسَن العواقب
وكن صاحباً للحِلْمِ في كُلِّ مشهدٍ فما الحلمُ الأخير خِدْنٍ وصاحـب
وكن موجباً حق الصديق إذا أتى إليك ببرٍ صادقٍ منك واجـب
وكن حافظاً للوالدين وناصراً لجارِكَ ذي التقوى وأهل التقارب[49]

والإمام على بن أبي طالب τيوصي ابنه بمكارم الأخلاق حتى يعيش في مجتمع أخلاقي. حيث يوصيه بالصبر عند النوائب حتى يفوز بما يريد ويكون حليماً حافظاً لعهد الأصدقاء، ويشكر المولي عز وجل على نعمته التي انعم بها عليه ويحفظ حق الوالدين وينصر جاره وبذلك ينال أعلى المراتب في المجتمع.

نجد أن المجتمع كان متأثرا بالعادات والقيم الجاهلية وعندما جاء الإسلام اقرَّ ما هو حميد منهما ودفع الناس لها ولفعلها, ورفض الأخلاق الرذيلة ونهي عنها. وكان ذلك التحول في المجتمع له تأثير واضح على حياة الشعراء حيث تحول الشعر إلى مسايرة الحياة الجديدة يدعو إلى أخلاقها التي أقرها القرآنالكريم في بناء مجتمع يقوم على الإخاء والمحبة ومصلحة الجماعة وحماية حقوقها. والتزام الأخلاق الكريمة في التعامل الاجتماعي بينهم حتى تصبح الحياة بينهم حياة ألفة ومحبة وتصبح خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

المطلب الثاني: التأثير الديني في شعر الأخلاق

لقد اهتم العرب قبل الإسلام بالشعر اهتماماً كبيراً لأن الشاعر هو الذي يدافع عن القبيلة وأعراضها ويهدد من يفكر بالاعتداء عليها.

وعندما جاء الإسلام دعا إلى الأخلاق الفاضلة وتهذيب النفس البشرية حيث دعا للفضيلة وحض عليها, وذم الرذيلة ونهى عنها. وأزال الفروق بين الطبقات الاجتماعية وجعل المؤمنين أخوة لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى. وحوَّل المجتمع من العصبية القبلية إلى رابطة الأمة بدلاً من رابطة القبيلة التي كانت تسود قبل الإسلام. فأثر ذلك التحول في حياة المجتمع في النواحي السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها. وتبعاً لذلك تأثر الشعراء بهذه العوامل المحيطة بهم, ووجدوا في الأخلاق الإسلامية موضوعاً لهم متأثرين ببلاغة القرآن, وجزالة أسلوبه, وروعة ألفاظه. فجاء شعرهم يحثُ على الأخلاق الفاضلة, والدعوة إلى الخير والسعادة واحترام الإنسان. قال النابغة الجعدي:

بَلَغْنَا السَماءَ مَجْدَنا وَجُدُوْدَنا وإنَّا لنبغي فَوَّقَ ذَلِك مَظْهَرا[50]

حيث يريد النابغة فوق ذلك النصر والعزة دخول الجنة؛ بشفاعة سيدنا محمدρ. مما كان له العمق الديني والأثر الواضح في نفس الشاعر بعيداً عن العصبية. ثم قال:

وَلاَ خَيْر في حِلْمٍ إذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أنْ يُكَدَّرا
وَلاَ خَيْر في جَهْلٍ إذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيْمٍ إذَا مَا أَورَد الأَمْرَ أَصْدَرا[51]

قال النابغة لابد للحلم أن يكون معه ثورة للغضب، والجهل أن يكون معه سعة للحلم والصفح حتي إذا ما أصدر الأمر كان صائباً. حيث دعا له الرسول ρ وقال :(لا يفضض الله فاك)[52].

والشعراء في فترة الرسولρ وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم جاء شعرهم متأثراً بالحياة الدينية التي سيطرة على شبه الجزيرة العربية. قال لبيد ابن ربيعه:

ألا كُلُّ شيءٍ مَا خَلا اللهَ بَاطِلُ وَكُلُّ نَعيمٍ لا مَحَالَةَ زَائِلُ
وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنها الأَنَامِلُ[53]

يعظ الشاعر مَن حَوله بما أهلك الله من الأمم السابقة مخوفاً من الموت ويوم الحساب داعياً إلى التقوى والعمل الصالح موضحاً بان كل شيء سوف يزول والحياة دول بين الناس متأثراً بقوله تعالى :"كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ*وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ"[54]. وقال كعب بن زهير :

أَعْلَمُ أَنِّي مَتَي مَا يَأْتِنِي قَدَرِي فَلَيْسَ يَحْبِسُهُ شُحُّ وَلاَ شَفَــقُ
وَالَمْرُء وَالمالُ يَنْمِي ثُمَّ يُذْهِبُـهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَيُفْنِيْهِ فَيَنْسَحِــقُ
فَلاَ تخافِي عَلَيْنا الفَقْرَ وانْتَظِرِي فَضْلَ الَّذِي بالغِنِيَ مِنْ عِنْدِه نَثِقُ

إنْ يَفْنَ مَا عِنْدَنَا فاللهُ يَرْزُقُنَا وَمَنْ سِوانا .وَلَسْنَا نَحنُ نَرْتَزِقُ[55].

بين الشاعر إيمانه العميق بالمولى عزَّ وجلَّ.وهو يؤمن بالقضاء والقدر وكلَّ شيء في هذه الدنيا سوف يزول بمرور السنين. وإيمانهالعميق يجعله لا يخاف من الفقر لأن الله هو الذي يرزق عِبادهُ وليس للعباد مقدرة فوق قدرة الله على الرزق. قال الله تعالى:"فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِلِيْنَ"[56]. وقال الحطيئة:

مَنْ يَزْرَعِ الخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسَرُّبِهِ وَزارعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ على الرأسِ[57]

بين لنا بأن الذي يفعل الخير لا يكسب إلا من فعله وذلك لأن الخير لا يضيع عند الله تعالي. قال عليه الصلاة والسلام:"مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً, فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ. كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا. وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِها, وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ"[58].

يبين الرسولρ بأن من سن سنة حسنه تكسبه الخير وتكون له سبب في النجاح والسعادة وله أجرها واجر من عمل بها من بعده. ومن يفعل سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعد وتقوده إلي فعل الشر وتكسبه الخسارة والندم والهلاك. وتنهى التربية الدينية شعراء تلك الفترة عن الأخلاق الرذيلة, وتحثهم وتقربهم من الأخلاق الفاضلة. قال النابغة الجعدي:

مَنَعَ الغَدْرَ فَلَمْ أَهْمُمَّ بِــهِ وأَخُو الغَدْرَ إذَا هَمَّ فَعَلْ
خَشْيَةُ اللهِ وأَنَّى رَجــلٌ إنَّما ذِكِرْي كَنَارٍ بِقَبَلْ[59]

بين النابغة بأن الغدر نقضٌ للعهود والعقود. وأنَّ المولىَّ عزَّ وجلَّ حرم ذلك. فهو متأثر بالتربية الدينية, وأنه يخاف من الغدر لأنه يخشى الله تبارك وتعالى, ومكانته العالية بين الناس كأنها نار في قمة جبل قَبَلْ.

والغدر هو صفة المنافقين يقولρ :"أربع من كن فيه ,كان منافقاً خالصاً ,ومن كانت فيه خلة منهن, كانت فيه خلة من نفاق. حتى يدعها: إذا حدث كذب, وإذا عاهد غدر, وإذا وعد أخلف, وإذا خاصم فجر"[60].

وكان هنالك أيضاً من التأثير الديني على شعر الأخلاق, الالتزام بما أنزل الله تعالى في كتابه الكريم. قال سويد بن أبي كاهل اليشكري:

بِئْسَ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِي مَطْعَمٌ وَخْمٌ وِدَاءٌ يُدَّرَعْ
وَيُحيِّينِي إذَا لاقَيْتُــه وَإذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعْ[61]

التزام الشاعر بالقواعد الإسلامية. ولم يهتم بغدر صاحبه به, فهو يحيه إذا قابله ويغتابه في غيابه. حيث نهى عن ذلك المولى عزَّ وجلَّ قائلاً:"وَلا

يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ"[62].

والتأثير الديني على شعر الأخلاق في فترة الرسولρ وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم كان نابعاً من توجيهات الرسالة الإسلامية وتعاليمها. ووضح بأن الظلم والبغي عاقبتهما وخيمة وينال صاحبهما الويل والدمار. لذلك أمرنا الإسلام بالعدل والبعد عن الظلم. قال كعب بن مالك:

في كُلِّ سَابِغةٍ تَحُطُ فضُولُها كالنِّهْى هَبَّت ريحةُ المترقرقِ
تِلْكُم مَعْ التَّقوى تكون لِباسَنا يوم الهياج وكلَّ ساعةِ مصدق[63]

فكان التأثير الديني على الشاعر بأن لباسهم يوم الحروب يكون التقوى والإيمان بالله في الدفاع عن دعوة الله ونصرة دينه الكريم متأثراً بقوله تعالى:"يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ"[64]. أنزل الله تعالى لباساً لعباده يواري سوءاتهم. ولكن جعل لهم لباس التقوى خيراً من لباسهم الذي يواري سوءاتهم لأن التقوى تغفر لهم ذنوبهم وتعصمهم من المعاصي وتجنبهم من الهلاك والخسران يوم الحساب.

نلاحظ عمقُ الأيمان بالله ورسوخ العقيدة الإسلامية في نفوس المؤمنين جعلتهم يزهدون الدنيا ونعيمها, والعمل للآخرة والفوز بها. قال النابغة الجعدي مخاطباً زوجته:

يا ابْنَةَ عمَّي كتابُ اللهِ أَخْرَجنـي كُرْهاً ، وهل أَمْنَعَنَّ اللهَ ما فَعَــلا
فإنْ رَجَعْتُ فربُّ النَّاسِ أَرْجَعَنِي وإن لحِقتُ بربِّي فأبْتَغِي بَــدَلا
ما كُنْتُ أَعْرَجَ أو أَعْمَى فيعذرَني أو ضَارِعَاً من ضنى لم يستَطِيعْ حِوَلا[65]

النابغة متأثراً بالإسلام والتزام تعاليمه رافضاً توسلات زوجته, ملبياً دعوة الله في الخروج إلي الجهاد, وأن حياته مرهونة بإرادة الله, فإذا كتبت له الحياة فسوف يرجع إليها, وإن اختاره الله لجواره فتلك إرادة الله, وهو متأثر بقوله تعالي:"كُتِبَ عَلَيْكُمَ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لكُمْ"[66].

والتعاليم الإسلامية في شعر الأخلاق كان لها أثر في الحياة الأسرية قال عبده بن الطبيب يوصي أبنائه:

أَوصِيْكُم بِتُقَى الإله فإنَــهُ يُعْطِي الرغائبَ مَنْ يَشَاءُ ويَمْنَعُ
وَببرَّ وَالِدَكُم وَطاعةِ أمــره إنَّ الأَبَرَّ من البَنِيْنِ الأَطْــوَعُ
واعصوا الذي يزجي النمائم بينكم مُتَنَصَّحاً ذاك السَّمام المُقْنَعُ
يُزْجِي عَقَارِبهُ لِيبعث بينكـم حَرْباً كما بعث العروقَ الأَخْدَعُ[67]

أوصي أبناءه بتقوى الله وبر الوالدين وطاعة أمره، ناظراً في وصيته هذه لقوله تعالى :"وَقضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاّ إيَّاهُ ، وَبِالوَالِدَيْنِ إحْسَاناً إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُمَآ أَو كِلَاهُما فَلا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً"[68]. ويحذرهم من النمام الذي يزرع بينهم بذرة الفتنة ويشعل بينهم حرباً كل من فيها خاسر ويدعوهم إلي عدم سماع كلامه فهو لا أمان له ناظراً لقوله تعالى:"وَلا تُطِعِ الكَافِرِيْنَ والمُنَافِقِيْنَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيْلاً"[69]. حيث يأمر الله المسلمين بعدم طاعة الكافرين والمنافقين ويتوكل المسلم على الله وهو الذي يهديهم الصراط المستقيم قال معن أبن أوس:

وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِــهِ بِحِلْمِيَ عَنْهُ وَهْوَ لَيْسَ لَهُ حِلْــمُ
فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أُغْضِ عَيْناً عَلَى قَذَىً وَلَيْسَ لَهُ بِالْصَّفْح عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمُ
صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَـهُ وَمَا تَسْتَوِي حَرْبُ الأَقَارِبِ وَالسِّلْمُ
وَيَشْتُمُ عِرْضِي فِي المُغَيَّبِ جَاهِداً وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانُ وَلا شَتْمُ
فَلَوْلاَ اتِّقَاءُ اللهِ وَالرَّحِمِ الَّتِــي رِعَايَتُهَا حَقٌّ وَتَعْطِيْلُهَا ظُلْــمُ
إذَنْ لَعَلاوَةُ بَارِقِي وَخطَمْتــُهُ بِوَسْمِ شَنَارٍ لا يُشَارِكُهُ وَسْمُ[70]

وضح لنا في هذه الأبيات تأثره الديني في حلمه وصفحه عن ذوي الرحم الذي يكيد له , ويشتم عرضه ويحسده ولكن الشاعر بعميق إيمانه يرعي صلة الرحم ويخشى الله, ويرفض النميمة والغيبة ويصبر على ما يصيبه من أقاربه ولا يعاملهم بمثل ما يعاملونه,ويمنعه من ذلك تقوي الله وتعاليم الرسالة الإسلامية السمحاء التي تدعو إلي مكارم الأخلاق والأمر بالمعروف متأثراً بقوله تعالى:"إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدْلِ وَالإحْسَانِ وَإيتَايءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرونَ* وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إذَا عَاهَدتمُّ وَلا تَنقُضُوا الأَيمانَ بَعْدَ تَوكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيكُمْ كَفِيلاً إنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ"[71]. فهذه شيمة الرجل المؤمن التائب إلي ربه متأثراً بآيات القرآنالكريم.

نجد أن الحياة الدينية لها تأثير كبير في شعر الأخلاق في عصر النبيρ والخلفاء الراشدين، حيث أمرت الرسالة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقامت بترسيخ التعاليم الربانية الداعية إلى صلاح الفرد والجماعة في فعل الخير وترك الشر في أسلوب جزل وصياغة رصينة وبلاغة أعجزت العرب. مما كان له الأثر في نفوس الشعراء, فولعوا بالقرآنوعكفوا على دراسته, وفسروا ما غمض منه. فجاء شعرهم له طابع ديني مميز ينادي بمكارم الأخلاق ويحث عليها مقتبساً من

القرآنالكريم التعاليم الإسلامية في بناء الفرد وصياغته. وتهذيب سلوكه حتى يكون المجتمع صالحاً بصلاح الفرد. تاركاً العادات والأفعال الجاهلية التي تدعو إلي تفكك المجتمع وانهياره. ولذلك كان العامل الديني من أقوي العوامل المؤثرة في شعر الأخلاق في تلك الفترة.

المطلبالثالث: التأثير السياسي في شعر الأخلاق

يعد العرب من ذوي النفوس المرهفة الذين تؤثر فيهم الكلمة الطيبة وتطربهم الموسيقي العذبة. والشعر العربي هو الذي يكشف لنا حياتهم على مر العصور حيث يسجل بطولاتهم ويؤرخ أمجادهم فهو ديوانهم الذي يحفظ جميع أسرارهم.

قال أبو هلال العسكري: "لا تُعرفُ انساب العرب وتواريخها وأيامُها ووقائعُها إلا من جملة أشعارها , فالشعر ديوان العرب , وخزانة حكمتها , ومستنبط آدابها , ومستودع علومها"[72].

والشعر في كل أمة خاضع لتطور حياتها في النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية , وهي التي تؤثر فيه وتحدد مجراه واتجاهاته, وهي التي تفرض عليه ما شاء من التغيرات فينتقل من طور إلى أخر. وتتبدل موضوعاته وصوره وألفاظه. وتثار فيه معاني جديدة لم تكن موجودة, وبقدر التغيرات التي تحدث في حياة كل أمة يكون تأثير التغيير علي الشعر والأدب.

والمجتمع العربي تعرض لتحول في حياته عندما انتقل من البداوة الوثنية في عصر الجاهلية إلي الوحدانية، عندما انبثق فجر الإسلام في الجزيرة العربية. فتحول الشعر مع تلك الحياة وأصبح يتناول الأمور من منظور أخلاقي إسلامي. لان الإسلام قام علي بناء الإنسان بأخلاق فاضلة[73].

والشعر له تأثير واضح في حسم بعض المشاكل.حيث يبين طريق الخير أو الشر, المحبة أو الكراهية في بعض الأحيان.قال ابن الرومي:

أَرَى الشِعْرَ يُحْيِي المَجْدَ والبأس والندي وتَبْقِيْهِ أروَاحٌ لَهُ عَطِـــراتُ
وَمَا المَجْدُ لَوَلاَ الشِّعْرُ إلاَّ مَعَاهِـدٌ وَمَا النَّاسُ إلاَّ أَعْظُمٌ نَخِرَاتُ[74]

قالالشاعر بأن الشعر هو الذي يحي المجد ويشكل حياة الناس، والشعر هو الذي يسجل لنا التاريخ وأمجاد الشعوب فكانت تلك حياة العرب في الجاهلية. وبعد سيطرة الرسول ρ وأصحابه علي شبه الجزيرة العربية وتمكين رسالة الإسلام بها.بدأ الرسول ρ في بناء دولته ووضع الأسس السليمة لسياسته وفق ما سنته الشريعة الإسلامية، وبذلك غيرت كثير من المفاهيم السياسية.

كما بدأت الفتوحات الإسلامية الواحدة تلو الأخرى إلى أن انتقل ρ إلى الرفيق الأعلى، وترك الأمر من بعده لصحابته.فازدادت القضايا السياسية داخلياً وخارجياً بعد وفاته ρ في أمور الخلافة وانتقالها من بعده إلى الخلفاء الراشدين.فكانت هذه الأحداث السياسية لها تأثير واضح علي شعر الأخلاق في تلك الفترة, جماعة يدافعون عن النبي ρ ودينه ويتناولون المعاني الدينية والأخلاق الإسلامية في شعرهم. قالت ليلي الأخيلية :

فلا تكذِّبْ بوعدِ الله وأرضَ به ولا تَوَكَّلْ على شيءٍ بإشفاقِ
ولا تقولَنْ لشيءٍ سوف أَفعلُـه قد قَدَّر اللهُ ما كُلُّ امرئٍ لاقِ[75]

حيث توضح لنا بأن وعد الله حق ويجب علي الإنسان الإيمان العميق بالقضاء والقدر لأن الأمور بيد الله عز وجل.

وبعد وفاة الرسول ρكادت تصير فتنة بين المهاجرين والأنصار في أمر الخلافة.ثم ارتد عدد كبير من المسلمين عن الإسلام وفروضه,وكان الشعر يساير هذا النشاط السياسي ويسجله دالاً علي روحه ومغزاه.قال الحطيئة في الردة يحرض المشركين على قتال المسلمين:

فإنَّ الذي أَعْطَيْتُمُ أَوْ مَنَعْتُـمُ لَكَالتَّمْرِ أَوْ أَحْلَى لِخَلْفِبني فِهْرِ
فَقُومُوا ولا تُعْطُوا اللِّئام مَقَادَةً وقُومُوا وإِنْ كان القِيامُ على الجَمْرِ
أَطَعْنَا رَسُوْلَ اللهِ مَاكَـانَ بَيْنَنَا فَيَالَعِبَاد اللهِ مَا لأَبى بَكْـــر
أَيُورثُنا بَكْراً إِذَا مَاتَ بَعْـدَه وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ قاصِمَةُ الظَهَّـرِ [76]

يعد الحطيئة من الذين ارتدوا بعد وفاة الرسولρ، ورفضوا لأمر الزكاة ودفعها إلى أبى بكر الصديق. لأنهم أطاعوا الرسولρ في حياته بدفع الزكاة,بينما دفعها إلى أبى بكر هو قاصمة الظهر. وهنالك بعض الشعراء كانوا بعض الشعراء كانوا ملتزمين بالإسلام ومؤيدين لخلافة سيدنا أبي بكر الصديق وتناولوا ذلك في شعرهم. قال أبو عبرة القرشي:

شُكراً لِمَنْ هُوَ بالثناء حَقِيْقُ ذهب اللَجَاجُ وبُوِيَع الصديقُ
مِنْ بَعْدِ مَا دَحَضَتْ بِسَعْدٍ نعله ورجا رجاءٌ دُونَه العَّيـوقُ
كُنَّا نَقُوْلُ لَهَا عَلَّى والرضـى عمرُ وأولاهم بتلك عتيــق
فَدَعَتْ قريشٌ باسمه فأجابـها إنَّ المنوَّه باسمه الموثــوق[77]

يشكر الشاعر المولى عز وجل بأن دعا أمة الإسلام إلى الحق وذهاب الباطل بعد أن كادت تقع الفتة بين المسلمين في من يتولى أمرهم.فكان من قال سيدنا علي بن أبى طالبτ ومنهم من قال سيدنا عمر ابن الخطابτ ولكن تمت البيعة إلى أبي بكر الصديقτ.

وكان هنالك تأثير واضح للأحداث السياسية علي الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة. لأن الحرب التي كانت تدور بين المسلمين من جهة

وبين الكفار واليهود من جهة أخرى كان لها تأثيرها الواضح علي الشعراء.حيث سجلوا ذلك في أشعارهم فمنهم من يفتخر بما صنع في الحرب ضد المرتدين. ويوضح التزامهم بالإسلام وأخلاقه السمحاء .قال بشر بن قطبة[1]:

أَرُوْحُ وأَغْدو في كَتِيْبةِ خَالــدٍ عَلَى شَطْبَةٍ قَدْ ضَمهَّا الغَزو خَيْفَقِ
إِذَا قَال سَيفُ اللهِ كُرُّوا عليـهم كَرَرْنَا ولَمْ نَجْعَلْ وصاةَ المُعَـوّقِ
أَقُوْلُ لِنَفْسِي بَعْدَمَا رَانَ بَالُهَــا رُوَيْدِك... لَمَّا تُشْفِقِي حِيْنَ تُشْفَقِـي
وكُونِي مَعَ الرَّاعي وَصَاةَ مُحَمْدٍ وإِنْ كَذَبَتْ نَفَسُ المُنَافِقَ فَاصْدُقِـي[78]

يبين الشاعر بأنه كان أحد أفراد جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ضد الكفار والمرتدين. ويظهر طاعة لأوامر قيادته إذا أمرهم بالهجوم علي الأعداء ولم ينظر إلى وصاة المعوق. وعندما تلين نفسه وتميل إلى السكون يأمرها وقال لها كوني مع جيش الإسلام بقيادة خالد بن الوليد لنصر الرسالة الإسلامية.ويظهر طاعة الشاعر للحق وصدقه إذا كذبت نفس المنافق من اجل تثبيت دعائم الدعوة الإسلامية ونصر الدين لنشر القيم الأخلاقية الفاضلة. وهنالك بعض الشعراء تأثروا بهذه الأحداث السياسية وأصبحوا ينادون في شعرهم بتثبيت القيم الأخلاقية التي تسعى لنشر الإخاء والترابط الاجتماعي من اجل الدفاع عن الدعوة وأخلاقياتها.قال في ذلك خزيمة بن ثابت الأنصاري يخاطب قريش:

يا آل قُرَيش أَصْلِحُوا ذَات بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ قَدْ طَالَ حَبْلَ التَماحُــك
فَلاَ خَيْرَ فِيْكُمْ بَعْدَنا فَأَرْفَقُوا بِنَا ولاَ خَيْرَ فِينَا بَعْد فِهْر بن مَالِــك
كِلانَا عَلَى الأَعدَاء كَفٌ طَوِيْلَةٌ إِذَا كَان يَوْم فَيهِ حُبَّ الحَــوارِك
فَلاَ تَذكُروا مَا كَانَ مِنَّا ومِنْكُم فَفِي ذِكْرِ مَا قَدْ كَانَ مَشِي التَشارُك[79]

ينادي المهاجرين بإصلاح ذات بينهم,وعدم النظر إلى صغائر الأمور لأن هدفهم مشترك وأرفع من الاختلاف فيما بينهم.

وفي جميع ما ذكر من أحداث سياسية في حرب الردة له تأثيراً واضح علي شعر الأخلاق في تلك الفترة حيث أنتجت شعر يلتزم بالأخلاق الإسلامية,ومناصرة الدعوة,والدفاع عن الدين. والشعراء يشاركون في الأحداث السياسية بكلمتهم وسيفهم مع المسلمين.كما كانت هنالك حركة الفتوحات الإسلامية لنشر الدين مما أدي إلي وقوع معارك ضارية في مواجهة المشركين والفرس والروم , فكانت لها تأثير واضح على الشعراء بوصف تلك الأحداث وحث المسلمين على البذل والتضحية والجهاد, فأنتجوا شعراً يلتزم بالأخلاق الإسلامية الفاضلة. فهاجموا الكفار وقللوا من شأنهم وكانت كلمتهم لها تأثير واضح في الأحداث السياسية.كما

فعل عمر بن سالم الخز اعيأحد بني كعب عندما قدم علىالرسولρيشكو من عدوان قريش وحليفتها بني بكر قائلاً:

يا ربِّ إنِّي ناشدُ محمـــدَاً حِلفَ أبينا وأَبِيهِ ألا تْلــدَا
قد كُنْتُمُ وُلْداً وكنا والِــداً ثُمتَ أَسْلَمنا فلمْ نَنْزَع مَـدَدَا
فيهمْ رسولُ الله قد تَجــرَّدا إن سِيمَ خَسْفاً وجهُهُ تَرَبّـدا
في فَيْلَقٍ كالبحر يَجْري مُزْبِدَا إنَّ قريشاً أَخلفوكَ المَوْعِـدَا
ونَقَضَوُا ميثاقَك المُؤكَّــدَا وجَعلُوا لي في كَدَاء رَصَـدَا
وزَعَمُوا أَنْ لستُ أَدعوا أحَدا وهُم أَذَلُّ وأَقَلُّ عَـــدَداً
هُمْ بَيَّتُونا بالوَتِير هُجَّــدَا وقَتَلُونا رُكَّعاً وسُجّـــدَاً[80]

يستغيث الشاعر بالرسولρويطلب الدفاع عنه، لما بينه من حلف وقال له بأن قريش قد نقضوا الميثاق الذي كان بينكم وبينهم واعتدوا علينا وظنوا بأننا لم نطلب من يدافع عنا. فقال له رسول اللهρ:"نصرت يا عمر بن سالم" وكان ذلك من أسباب فتح مكة. والفتوحات الخارجية أثرت بشكل كبير علي الشعراء وأنتج شعر أخلاقي ملتزم بتعاليم الإسلام. كذلك من الأحداث السياسية التي كان لها تأثير علي شعر الأخلاق في حياة المسلمين مقتل سيدنا عثمان بن عفانτ حيث انقسم الناس إلى شيع وطوائف وأحزاب, كل له شعراء يناصرونه مما كان له الأثر الواضح علىالشعر. قال حسانبن ثابت:

إنْ تُمْسِ دَارُ بني عُثْمَانَ خَاوِيَـةً بابٌ صَرِيعٌ وبابٌ مُحَرْقٌ خَـرِبُ
فقد يُصَادِفُ بَاغِي الخَيْرِ حَاجَتَـه فِيَها ويَأْوي إِليها العُرْفُ والحَسَبُ
يا أَيُّها النَّاسُ أُبْدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُـمْ لا يَسْتَوِي الصَّدْقُ عِنْدَ اللهِ والكَذِبُ[81]

وضح حسان بن ثابت بصياغة رصينة يلتزم فيها بالأخلاق الفاضلة وترجيح الصدق على الكذب,بأن دار سيدنا عثمان بن عفان أصبحت خالية وخربة بعد مقتله، فكانت قبلة للخير ومأوى للجميع.

بينما كانت هنالك جماعات مختلفة تتصارع حول الخلافة ودم سيدنا عثمانτ. وهنالك من لزم الحياد وعدم الدخول في باب الفتة ومناصرة فئة ضد أخرى وعدم التجارة بدم سيدنا عثمانτ حتى يتبين الحق ويظهر ذلك في قول سعد بن أبى وقاص:

مُعَاوِيَ داؤك الداءُ العـياء وليس لما تجيء بـــه دواءُ
أيدعوني أبو حسنٍ علـــيٌّ فلم أردد عليه بما يشـــاءُ
وقلت له أعطني سيفاً بصيراً تميزُ به العداوة والـــولاءُ
فإنَّ الشرَّ أصغره كثيــر وإنَّ الظّهْرَ تثقله الدمـــاءُ
أتطمع في الذي أعطي علياً على ما قد طَمَعْتَ به العَـفاءُ

فأَمَّا أمرُ عثمانٍ فدعــه فإنَّ الرأي أذهبه البـــلاءُ[82]

الشاعر يلزم الحياد وعدم الدخول في الفتة ويطلب من جميع الأطراف عدم الخوض في الفتنة. لأنه لا يجد سيفاً بصيراً يميز بين الحق والباطل,والشر والفتنة يمكن أن تكون من الأمور الصغيرة.بينما هنالك من يناصر فئة معينة مثل النابغة الجعدي الذي يناصر سيدنا علي بن أبي طالبτقال في موقعة صفين:

قد عَلِمَ المِصْرانِ والعـراقُ أنّ عَلِيَّاً فَحْلُها العِتَـــاقُ
أبيضُ جَحْجَاحُ لَـــهُ رِواقُ وأُمُّةُ غَالي بها الصّـــداقُ
أَكْرَمُ من شُدَّ بِهِ نِطـــاقُ إنّ ألْأَلَي جَارَوْكَ لا أفَاقُـوا
لَهُمْ سِبَاقُ ولكم سِـــبَاقُ قَدْ عَلِمَتْ ذَلِكُمُ الرّفَـــاقُ
سُقْتُمْ إلى نَهْجِ الهُدَى وساقُوا إلى التي ليس لها عِــراقُ
في مِلّةٍ عادتُها النفاقُ[83]

يمدح سيدنا علي بن أبي طالبτبالاستقامة والهداية والتقوى وشهد له بذلك أهل الكوفة والبصرة.وهو ومن معه على حق, وأعداؤه على باطل.

إذن تأثر شعر الأخلاق في عصر صدر الإسلام – البعثة النبوية والخلافة الراشدة – بعدة عوامل كانت تشكل الشعر في تلك الفترة. منها التحول في المجتمع من مجتمع جاهلي تحكمه العنصرية القبلية والحروب إلى مجتمع إسلامي يدعو إلى السلام وبناء مجتمع فاضل.

كما كانت الأحداث السياسية في تلك الفترة من مشاكل داخلية في انتقال الخلافة وحروب خارجية

لنشر الرسالة الإسلامية، حيث ساير الشعر تلك الأحداث مسجلاً الانتصارات. وداعياً إلى الأهداف الدينية التي جاءت في مجملها لتربية الأمة وبنائها على أخلاق فاضلة.

خاتمة البحث:

في الختامنجد أن شعر عهد النبوة والخلافة الراشدة يذخر بمكارم الأخلاق التي يقوم عليها المجتمع الصالح، ويحكى هذا الشعر في جمال أسلوبه ورصانة صياغته وروعة معانيه عن أهداف وقيم الرسالة الإسلامية السمحة التي جاءت لتتم مكارم الأخلاق. فعندما جاء الإسلام غير كثيراً في المجتمع الجاهلي حيث حول العصبية القبيلة إلى رابطة الأمة، وبسط الأمن والسلام والعدل والإخاء وغيرها.

فوقف الإسلام من الشعر موقفاً واضحاً حيث نهى عن الشعر القبيح الذي يتناول أعراض الناس ويشعل الفتنة ويحارب الإسلام ، بينما شجع الشعر الذي يدل على مكارم الأخلاق ويدافع عن الإسلام وينصره بالكلمة كما

ينصر بالسيف، ليصبح المجتمع يقوم على رابطة الإسلام الذي يدعو إلى ترسيخ التعاليم الربانية الداعية إلى صلاح الفرد والجماعة في فعل الخير وترك الشر، في أسلوب جزل وصياغة رصينة وبلاغة أعجزت العرب؛ مما كان له الأثر في نفوس الشعراء، فولعوا بالقرآنوعكفوا على دراسته. فجاء شعرهم ذا طابع ديني مميز ينادي بمكارم الأخلاق ويحث عليها مقتبساً من القرآنالكريم والسنة المطهرة التعاليم في بناء الفرد وتهذيب سلوكه حتى يكون مجتمع صالح بصلاح الفرد، تاركاً العادات والأفعال الجاهلية التي تدعو إلى تفكك المجتمع وانهياره.

وختاماً هذهلبنة تتساند مع غيرها في سبيل البناء الكلي لترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة.

الهوامش

[1] - أنظر: أحمد سلبي، التاريخ والحضارة الإسلامية، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة، 1966م، ص 78_79.

[2] محمد عثمان على، في أدب ما قبل الإسلام، لبنان، بيروت، دار الأوزاعي، الطبعة الثالثة، 1406هـ-1986م، ص50.

[3] محمد عثمان على، في أدب ما قبل الإسلام، مرجع سابق، ص 49، العسف: الأخذ على غير الطريق.

4المرجعالسابق، ص 51

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1399ه-1939م، الجزء الثالث، ص222.

[5]-

[6]- الجوهري (إسماعيل بن حماد) ،الصحاح " تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار، القاهرة ،الطبعة الثانية 1399هـ - 1977م .الجزء الرابع، ص 1471 .

[7]- ديوان لبيد بن ربيعه العامري،بيروت،دار صادر،1986هـ - 1966م،ص 179.

[8]- ابن منظور، لسان العرب،تحقيق عبد الله على الكبير، محمد احمد حسب الله،هاشم محمد الشاذلي، القاهرة،دار المعارف، الجزء الثاني،صـ1245.

1- عبد اللطيف محمد العبد،الأخلاق في الإسلام، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، بدون تاريخ،ص12.

[10]- الجاحظ،تهذيبُ الأخلاقُ،دار الصحافة للتراث،الطبعة الأولى،141هـ - 1989م،صـ (4- 5) .

[11]- صلاح الدين عبد اللطيف الناهي،الخوالد من أراء حجة الإسلام الغزالي،بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى 1407هـ -1987م،ص 88 وما بعدها .

[12]- عبد الرحمن عيسوي، النحو الروحي الخلقي، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1980م، ص 286.

[13]- انظر :الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد) إحياء علوم الدين، ت .سيد بن إبراهيم، القاهرة،دار الحديث 1414 هـ - 1994م، الجزء الثالث، ص 94 .
[14]- انظر : صلاح الدين عبد اللطيف الناهي، الخوالد من أراء حجة الإسلام الغزالي، مصدر سابق،ص 75.
[15] زكي نجيب محمود،مع الشعراء،بيروت، دار الشروق،الطبعة الثالثة،1982م، ص57.
[16]سورة الأنبياء،الآية5
[17]سورة الصافات،الآية 36
[18]سورة الطور،الآية 30
[19]سورة الحاقة،الآية 41
[20] سورة يس،الآية 69
[21]سورة الشعراء، الآيات (224_ 226)
[22]سورة الشعراء،الآية 227
[23]ابن رشيق القيرواني (محمد أبو علي)،العمدة في محاسن الشعر وأدبه،حققه محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت،دار الجيل، الطبعة الرابعة، 1972م، ص 31.
24المصدر السابق،ص 30.
25المصدر السابق،ص27.
26ابن رشيق القيرواني (محمد أبو علي)،العمدة في محاسن الشعر وأدبه،حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مرجع سابق،ص30.
27المرجع السابق،ص 9.
28 خليل إبراهيم أبو دياب،النابعة الجعدي حياته وشعره،دمشق، دار القلم،بيروت.ودار المنارة،الطبعة الأولى،1407هـ/1987م،ص141،نقلاً عن الديوان،ص51.
29 ابن رشيق القيرواني،العمدة،مرجع سابق،ص53.
30 ديوان كعب بن زهير،لابي سعيد الحسن بن الحسين العسكري،بيروت لبنان،دار الكتاب العربي،الطبعةالثانية 1417هـ/ 1996م- ص 40-41.
31 محمود مصطفى،الأدب العربي وتاريخ ه في صدر الإسلام والدولة الأموية،مصر،مطبعة مصطفى البابي وأولاده،الجزء الأول،الطبعة الثانية،1356هـ/1937م،ص39.
32المرجع السابق،ص 40.
33 شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب،القاهرة،مطبعة دار الكتب المصرية،ج17،ط1 ،1374هـ/1955م - ص 169.
34- محمد عثمان على،في أدب الإسلام،مرجع سابق،ص53.
35 ابن رشيق القيرواني،العمدة،مرجع سابق ،ص 32.
36المرجع سابق ،ص 28.
37 ديوان الحطيئة،شرح ابن السكت والسكري والسجستاني،تحقيق نعمان أمين طه،مصر، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده،ص280.
38 ابن رشيق القيروان ،العمدة،مرجع سابق،ص34.

39المرجع السابق،ص 28.
[40] - انظر: عبد الرحمن حسن حبنكه،الأخلاق الإسلامية وأسسها ،مرجع سابق ،ص29 وما بعدها.
[41] - خليل إبراهيم أبو دياب،النابعة الجعدي حياته وشعره،مرجع سابق ،ص144. نقلاً عن الديوان ،ص210.
[42] - ديوان حسان بن ثابت،تحقيق سيد حنفي حسين،القاهرة،دار المعارف،الطبعة الأولى،1973م، ص135-136. كباكب: جمع كبكبه وهي جماعة من الناس. القليب: هو قليب بدر الذي قذفت فيه قتلى المشركين.
[43] - سورة الأحزاب،الآية (22).
[44] - سورة الأحزاب،الآية (24).
[45]- سورة آل عمران،الآية (110).
[46]- ديوان الحطيئة ،شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني،تحقيق نعمان أمين طه ،مصدر سابق ،ص98.
[47] خليل إبراهيم أبو دياب ،النابغة الجعدي حياته وشعره ،مرجع سابق ،ص162. نقلاً عن الديوان ص4.
[48]- خليل إبراهيم أبو دياب ،النابغة الجعدي حياته وشعره ،مرجع سابق ،ص162. نقلاً عن الديوان ص25.
[49]- ديوان علي بن أبي طالب، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم،المكتبة الثقافية،لبنان،بيروت،بدون تاريخ، ص17.
[50]- خليل إبراهيم أبو دياب،النابغة الجعدي حياته وشعره، مرجع سابق، ص141. نقلاً عن الديوان ص51.
[51]- المرجع السابق،ص141 نقلاً عن الديوان،ص69.
[52]- محمود مصطفى،الأدب العربي في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية،الجزء الأول،مرجع سابق- ص109.
[53] - ديوان لبيد بن ربيعة العامري،دار صادر،مصدر سابق،ص132.
[54]- سورة الرحمن،الآيات 26-27.
[55]- ديوان كعب بن زهير،حققه الحسن بن الحسين السكري،مصدر سابق،ص168. الشفق : الخوف.
[56]- سورة آل عمران، الآية 159.
57- ديوان الحطيئة،شرح ابن السكيت والسكريوالسجستاني تحقيق نعمان أمين طه،مصدر سابق، ص 43.
58- صحيح مسلم (للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القيشري النيسابوري)،شرح النووي،دار إحياء الكتب العربية،الطبعة الأولى،1374هـ/1955م،المجلد الرابع، ص2059- 2060.
59- خليل إبراهيم أبو دياب،النابغة الجعدي حياته وشعره،مرجع سابق،ص165. نقلاً عن الديوان، ص96.
60- صحيح مسلم،شرح النووي،الجزء الأول،مصدر سابق،ص78.

61 - شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،العصر الإسلامي،مصدر سابق،ص71.
خم: غير مرئي ولا مستساغ. يدرع : يلبس كالدرع.
62- سورة الحجرات،الآية 12.
63 - ديوان كعب بن مالك الأنصاري،تحقيق سامي مكي العاني،بغداد،مطبعة المعارف،الطبعة الأولى،1386هـ/1966م ،ص245. السابغة : الدروع الكاملة الواسعة. تخط: ينجر على الأرض ما فضل منها. النهي: الغدير من الماء.
64 - سورة الأعراف ،الآية 26.
65- خليل إبراهيم أبو دياب ،النابغة الجعدي حياته وشعره ،مرجع سابق ،ص151. نقلاً عن الديوان ،ص194.
66- سورة البقرة ،الآية 216.
67- شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي ،العصر الإسلامي ،مصدر سابق ،ص69-70.
68- سورة الإسراء ،الآيات (23-24).
69- سورة الأحزاب ،الآية 48.
70- محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه،في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية،الجزء الأول،مصدر سابق،ص111.
71- سورة النحل ،الآيات 90-91.
72- يحيى الجبوري ،الإسلام والشعر ،بغداد ،منشورات مكتبة النهضة ،1383هـ/1964م ،ص14.
73- انظر: محمد مصطفى هداره ،اتجاهات الشعر العربي ،في القرن الثاني الهجري ،دار المعارف ،1963- ص23.
74- ديوان ابن الرومي - شرح مجيد طراد ،المجلد الأول ،دار الجيل ،بيروت- الطبعة الأولي ،1418هـ - 1998م ،ص 611. الأرواح : الرياح ، المعهد : المكان الذي يرجع إليه القوم ، نخرات بالية.
75- عبد الله الحامد ،شعر الدعوة الإسلامية "في عهد النبوة والخلفاء الراشدين" ،الرياض ،دار الأصالة والثقافة والنشر والإعلام ،الطبعة الثانية ،1405هـ/1985م ،ص(525-526).
76- طه حسين ،حديث الأربعاء ،مصر ،دار المعارف ،1925م ،ص 125. والديوان ص195-196.
77 - يوسف بن عبد البر ،الاستيعاب في أسماء الأصحاب ،مصر ،مطبعة السعادة ،الجزء الثاني ،1328هـ - ص256. ومحمد عثمان علي - في أدب الإسلام ،ص53. العيوق : نجم بعيد في السماء ، وأراد به أبي بكر الصديق.
1 بشر بن قطبة بن سنان بن الحارث . ويقال هو بشر بن الحارث وقطبة اسم أمه وهو شاعر مخضرم شهد معركة اليمامة بقيادة خالد بن الوليد في عهد سيدنا أبو بكر الصديق.
2-ابن حجر العسقلاني الإصابة في تميز الصحابة ،تحقيق طه محمد الزيني ،الجزء الأول ،الطبعة الأولي ،مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة - بدون ،ص57. جعل: أخذ. ران بالها: خَبُثَ.

3- أحمد الشايب ،تاريخ الشعر السياسي "إلى منتصف القرن الثاني" ،بيروت ،دار القلم ،الطبعة الخامسة ،1976م ،ص133. نقلاً عن نهج البلاغة ،الجزء السادس ،ص14.
80- يحيى الجبوري ،الإسلام والشعر ،مرجع سابق ،ص61.
81- ديوان حسان بن ثابت،تحقيق سيد حنفي حسنين ،مصدر سابق ،ص212.
82- محمد عثمان علي ،في أدب الإسلام ،مرجع سابق ،ص75.
83 - خليل إبراهيم أبو دياب ،النابغة الجعدي حياته وشعره ،مرجع سابق ،ص145. نقلاً عن الديوان –ص192.